الأب والابن

مسرحية في ثلاثة فصول

تقلم سميح يانس

الشخصيات
في الفصل الاول

المختار
سامي ، ابنه
نزيه ، ابن اخيه
هدى ، ابنته
السائق احمد
الناظر

في الفصل الثاني

سامي
نزيه
عادل ، مروان } اصدقاء سامي
فدوى ، حبيبته

في الفصل الثالث

. . . . . ؟ ؟
. . . . . ؟ ؟

الفصل الاول

المنظر ... غرفة في الطابق الاول ، مناسبة تماما اذا عرفنا انها غرفه الاستقبال في بيت مختار قرية من القرى المتأخرة ... في صدر المسرح نافذتان من الخشب أميل الى الطول يغطي كلا منهما ستار بسيط ... الجدران عارية ما عدا الجدار الايمن الذي يحمل صورة للمرحوم والد المختار ... يوجد تحت النافذتين ديوان عريض وطويل ومثله على الجانبين ... هناك منضدة قريبة من الديوان الايسر يمكن ان تستعمل لبقايا السجاير او لشرب الشاي .. ومنضدة اخرى في الزاوية اليمنى وضع عليها الراديو الذي يعمل بالبطارية .. باب الغرفة في يسار المسرح وأقرب للجمهور ...

نزيه : (جالسا قرب الباب كمن ينتظر الطبيب) سيداتي سادتي.. قبل انتصاف هذا القرن ، كانت هناك بواخر كبيرة تملكها دول معينة تمر بحيفا ويافا تفرغ الاخشاب والورق الرقيق لتعود به بعد شهور يلف البرتقال ويزين موائد الاوروبيين ... لكنها كانت احيانا وفي الليالي المظلمة تقذف الى الرصيف نماذج بشرية ملأ قلبها الحقد على كل البشر ... وبالقرب من يافا عاش أهل بيت دجن يقطفون البرتقال ويفنون شبابا وفتيات ، ويسمعون اشياء كثيرة لكن قلوبهم الطيبة لم تسمح لهم ان يروا ما كان يخبئه لهم القدر ... وفي بيت عمي تاجر البرتقال ومختار القرية حدثت اشياء واشياء ... اشياء عرفتها كل القرى في ذلك الساحل .. وحكايتنا ليست الا من الحياة ، من مآسيها ، وسنرى الان ...

المختار : (ينتهي من ترتيب بعض الاوراق والكتب بجانب الراديو، يبدو عليه الغضب ويكاد يرتعش ، لكنه صلب بعيد عن الخوف) كلاب.. خونة .. آه .. لو اعرف ذلك الخنزير ! (يدخل ابنه سامي من الباب المفتوح) سامي هل ذهبوا الى جهنم ؟..

سامي : نعم يا ابي ، وان امي تضحك كالمجنونة .

المختار : لماذا لا تضحك ؟ أليست هي التي انقذتنا من المشاكل؟..

سامي : نعم ، ولكنها بسبب السرعة ، قذفت بالسلاح الى مكان فذر لا يمكنهم ان يفتشوا فيه ...

المختار : (يضحك ، وقد بدأ يعود الى حالته الطبيعية كمختار للقرية) انه مكان يناسبهم اكثر مما يناسب السلاح .

سامي : (بعد برهة صمت) أبي ، من ترى ذهب واخبرهم عنه ؟

المختار : خمسة الاف ، ابحث عن الدنيء في هذه البلد ، أبحث عن القذر الوضيع بينهم ، تجده هو . ذهب ليأخذ بعض الشلنات ... آه ... ليس فقط من اجل النقود بل هناك الحسد والغيرة ، انهم يحسدون الانسان لانه يعمل ... لست أدري كيف يفكر بعض الناس ، وبعد كل هذا لا يمكننا الا ان نحبهم ، أجل انني احبهم .

سامي : أبي ... أتبقى تحب ذلك الرجل الذي اخبر البوليس عن وجود السلاح في بيتنا وسبب لنا كل هذه المتاعب ؟

المختار : نعم ، انه يبدو لي بريئا ، (يخرج من الغرفة ، ينظر الى الارض ويفكر ، يجلس سامي بجانب النافذة اليسرى وينظر الى الافق البعيد ، البعيد جدا ، ويضع ابهامه الايمن في فمه مستغرقا بتساؤلاته)

نزيه : (ينادي من خارج الغرفة) سامي.. يا سامي.. اين انت؟

سامي : انني هنا يا نزيه ، تعال .

نزيه : (يدخل لابسا بنطالا يناسب سنه الصغيرة ، انه يبدو في الرابعة عشرة ، يصغر ابن عمه سامي بعام واحد) لماذا تركتنا هكذا بسرعة ؟ ألم تقل بأنك ستذهب معنا الى البيارة لنرى تلك الشجرة اللذيذة ؟

سامي : ألم تعلم بأنهم أتوا لتفتيش بيتنا بحثا عن السلاح ؟

نزيه : لقد رأيتهم قرب البئر ، كل اولئك لتفتيش بيتكم ؟

سامي : نعم بيتنا ، ألا يعجبك بيتنا ؟ انه اكبر بيت في البلد .

نزيه : اعرف ذلك فهو بيت عمي ... لكن ، أين أخفيتم الـ ... (ويشير بيديه وابهامه كالمسدس)

سامي : لقد أخفيناها في بيت الـ ...

نزيه : آه ، فهمت ، في بيت الـ ...

سامي : لقد كان ابو محمود من بينهم، ابو محمود اخو رفيقك سعيد.

نزيه : لقد رأيته قبل ان يركبوا السيارات ، سمعته يقول لزميله : لو تباطأنا في التفتيش لاسترحنا من الذهاب الى يافا والعودة الى البلد ، فقلت له : تعالوا فنشوا بيتنا في الوقت الباقي (ويضحك)

سامي : انك دائما تحب اللعب والضحك ... هل صعدتم فوق السطح في الليلة الماضية ؟ هل رأيت النار ؟

نزيه : طبعا ، لقد اشعلوا النار في جزء كبير من تل ابيب .. لا شك ان اهل سلمه رجال شجعان ..

سامي : لا تنس ان قائدهم هو حسن سلامه الذي يعرفه الجميع..
(بعد برهة) لقد طلبوا النجدة من بقية المستعمرات .
نزيـه : واظن انها انجدتهم ، فقد توقف اطلاق النـــار بعد ساعة فقط ..
سامي : بل ذهب اليهم الانكليز ، ليحافظوا على الهدوء والنظام .
نزيـه : هل الانكليز دائما ضدنا ؟
سامي : طبعا ، فهم اصل المصيبة ... ثلاثون جنديا مسلحين للتفتيش عن سلاح بسيط في بيتنا في نفس الوقت الذي يسكتون فيه عن مستودعات للاسلحة في تل ابيب ...
نزيـه : هل هذا صحيح ؟ انك تعرف اشياء كثيرة ولكنني ايضا أعرف بعض الاشياء ، انني اعرف مثلا ان عمي قد حكم عليه بالاعدام منذ عشر سنين ، وان الذي انقذه من الموت وليمة فاخرة أقامها لاحد الضباط الانكليز الذين يعشقون اللحم والخمور الفاخرة ...
سامي : لا اظن الامر بهذه البساطة ، لكن ، هل تعرف انني لن اتابع دراستي بعد اليوم ، لقد اصبح الذهاب الى يافا مخاطرة كبيرة.
نزيـه : لماذا لا تذهب الى القدس ؟
سامي : القدس ... ان الاحوال هناك أردأ بكثير ... وفوق ذلك، يخاف ابي ان يظن اهل البلد ان ذهابي الى القدس رحيل عن القريـة .
نزيـه : رحيل عن القرية !..
سامي : اوه ... ألم تسمع بالخوف من الرحيل ... لقد رحل أهل الخيرية كلهم في يوم واحد .
نزيـه : كلهم ؟
سامي : نعم كلهم .
نزيـه : لماذا ؟
سامي : لان اليهود هجموا بأعداد كبيرة في الليل المظلم بسلاحهم وحقدهم ، هجموا في منتصف الليل ليشردوا النساء والاطفال وليقتلوا الابرياء ، اما الذي نجا فقد خرج عاريا ، قال ابي ان بعض النساء خرجن بثياب النوم يحملن اطفالهن ويركضن هاربات تحت اشجار البرتقال ، وكأن السماء كانت غاضبة ، فارسلت مطرا غزيرا سالت به الوديان .
نزيـه : السماء غاضبة ، على من علينا ام على اليهود ؟
سامي : لست أدري ... هل اسأل ابي ؟ كم احب ابي فهو لا يعرف الكسل ولا الطرق الملتوية ... لقد اتوا لتفتيش البيت عن السلاح ، ومع ذلك ، فانه سيجمع النقود من اهل البلد لشراء السلاح ، لشراء البنادق ، اسمع .. لقد اتى ...
نزيـه : ومعه آخرون .
المختار : (يدخل متبوعا بالناظر الذي يبدو قويا هادئا والسائق الذي يعرف كيف يتصرف ، المختار مضطرب جدا) .. وبعد ذلك ..
السائق : وضعت رأسي تحت المقود وانطلقت بالسيارة في أقصى سرعة ممكنة ، حتى انني خفت ان نتدهور على اليمين او اليسار فننجو من مصيبة لنقع في مصيبة اخرى ...
الناظر : لولا هذه الحركة الرائعة لاتت هذه الرصاصة في رأسك (ويشير الى سترته الممزقة) لقد ثقبت الزجاج وجرحتني في كتفي (ثم يلتفت الى المختار) عندما وصلنا قريبا منهم خرجوا من بين الاشجار بالرشاشات وبدأوا باطلاق النار كالمطر ..
السائق : لقد ارادوا قتلنا جميعا .
الناظر : بل أرادوا حرقنا ، لقد رأيت احدهم يخرج بعد امتار قليلة يحمل وعاء البنزين ليصبه علينا فنلتهب جميعا .
السائق : لقد توقعوا ان نقف في ذلك المكان ، قرب البنزين ...
الناظر : ولكنك انقذتنا بذكائك ... عشرون بتنا وخمسة عشر شابا أنقذتهم من الموت يا احمد .
المختار : لقد ارادوا ان ينتقموا لهاغانتهم الذين قتلوا قريبا من الطاحون في بازور ، وكم جرح منهم ؟
الناظر : اظن انهم تسعة ، ثلاثة منهم تركناهم في المستشفى في يافا ...
المختار : يجب علي ان اذهب لازور اهل الشهيدة والشهيد .
الناظر : لا اظن ذلك مناسبا الان فهم في حالة لا تسمح لهم باستقبال احد بشكل لائق .
المختار : حتى أنا ؟
الناظر : انت خاصة يا سيدي ، لقد سمعتهم يلعنون ويشتمون.. لقد فقدوا اولادهم من اجل برتقالك ...
المختار : وهل اجبرتهم على ذلك ؟ اننا نحتاج الى كل قرش من النقود التي دفعناها ثمنا للبرتقال على اشجاره ، نريد النقود لنشتري السلاح وندافع عن برتقالنا جميعا ، ندافع عن بيارتنا ، يجب ان نحصل على المئات الكثيرة من الجنيهات ... البندقية الواحدة اصبحت تباع بمئة جنيه والرصاصة الواحدة بعشرة قروش ... وحتى بهذه الاسعار لم نجد شيئا حتى الان ...
اسائق : لقد اخبرتنا بالامس انك ستشتري بسبعة وعشرين فقط ، فكيف سيكون ذلك ؟
المختار : سوف نذهب بعيدا ، لقد اتصلت بالهيئة ووعدونا في مصر ان يعطونا بقدر الامكان .
الناظر : وهل تعتقد ان ذلك سيتم بسرعة ؟
المختار : وهل لنا غير هذا السبيل ، اين لنا ان نختار ، فالمنافذ كلها مغلقة ، ونحن نعيش في سجن الحاجة ، الحاجة لكل شيء ، للسلاح ... للقيادة ... للتدريب ... للتنظيم .. كل شيء ينقصنا ما عدا العواطف ، حتى حبنا لهذه الارض ، لهذا البرتقال ليس الا شيئا غامضا في صدورنا ، وما فائدة العواطف في الصدور ، هل نختار من ابناء قريتنا اكثرهم حبا لبيته وبرتقاله ونضعهم حول القرية يحرسونها بقلوبهم واخلاصهم ؟
السائق : تفضل يا سيدي ، لقد بعت ذهب زوجتي ، وادجو تسجيل اسمي واسم اخي (ويعطيه النقود)
الناظر : سجل اسمي ايضا (يمد يده بالنقود الى المختار) .. لقد وفرتها من مهر ابنتي التي تزوجت من ذلك الميسور ، لست ادري لماذا يتزوج البعض في مثل هذه الظروف .
المختار : لانه لا يوجد شيء اخر يفعلوه ...
نزيـه : سجلوا اسمي انا ايضا وأبي سيعطيكم النقود ...
الناظر : انت ما زلت صغيرا يا نزيه .
نزيـه : عندما يصل السلاح سأكون قد كبرت .
السائق : لا سمح الله ، ستكون مصيبة كبيرة ، اننا نريد السلاح بسرعة ، لقد فهمنا في يافا ان الهاغانا بعد هزيمة الامس في تل ابيب بدأوا يتجهون بأعداد كبيرة اليها .
المختار : يجب على حسن الان ان يسهر الليالي ، فلا بد لهم ان ينتقموا لتلك الهزيمة ... فاذا ما فعلوا واختاروا ليلة مظلمة لتشريد الجميع فلا اتصور قريتنا ببنادقها التسع ستنتظر ليلة اخرى لترحل .. على كل حال هيا بنا لنرى الاخرين ، سنرى كل منهم يريد ان يشتري وطنه ...

طبعت على مطابع :
دار الفكر للطباعة والنشر
تلفون : ٢٢٢٩٢١

نزيـه : (بعد ان خرج المختار ورفيقاه) سامي ، لماذا لم نشتـر السلاح من قبل ؟

سامي : لانه لم يكن يباح ... حتى لو كان موجودا لما استطعنا ان نشتريه بسبب الافلاس ... لقد خسر الناس كثيرا اثناء الحرب العالمية ، مصاريف كثيرة على البيارات من دون ان يشحن شيء يذكر.. كثيرون أثقلتهم الديون فباعوا بياراتهم ... وما ان انتهت الحرب وبدأ الاخرون باسترداد انفاسهم حتى جاءهم الرصاص والحرب منجديد.. (يتوقف عن الكلام عندما يرى اخته داخلة) .

هـدى : مساء الخير ..

نزيـه : مساء الخير ..

سامي : هل اتيت من المـدرسة ؟

هـدى : نعم ، ولن اذهب غدا ، لقد اخبرتنا المديرة ان الانكليز سيتركون مركزهم القريب من المدرسة قبل المساء ... وقالت لنـا : اصبح الخطر اكثر من أي وقت مضى ... ليس فقط على المدرسـة بل على البلد كلها .

نزيـه : وهل كان الانكليز هم الذين يحمونا من الخطر ؟

سامي : انهم يحبون ان يظهروا بهذا المظهر أحيانا ... هلعاد ابي؟

هـدى : لا ، انه ما زال في الخارج (ثم تخرج)

نزيـه : يجب ان اذهب ، فقد طلبت امي ان اشتري شيئا مـن القهوة منذ الصباح ... (ويخرج ايضا)

(سامي ، بعد ان خرج الجميع ، يتجه الى النافذة اليسرى ويزيح الستار عنها ويثبته على حافتها ... ويجلس قريبا منها ينظر للخارج ، للافق البعيد ، كأنه يبحث عن جواب لسؤال جديد ، وبعد لحظـات يدخل ابوه في حنق وغضب واضطراب ، حتى انه بادر بسؤال ابنهالذي يقف عندما يراه هذا السؤال)

المختار : لماذا تجلس هكذا ؟.. لماذا لا تقرأ دروسك او تكتـب وظائفـك ؟

سامي : أبي ...

المختار : أوه ... لقد نسيت انك لم تعد تذهب الى المدرسة ...

سامي : أبي ... لقد قالت هدى ان الانكليز سيتركون المركز هذا المساء ، هل هذا صحيح ؟

المختار : بل ربما تركوه الان ، لقد اخبرونا بذلك في اخر لحظة ، لعن الله هذه الظروف ... لقد أعلمونا بذلك بعد ان اتى جماعة من سلمة وطلبوا البنادق التسع الموجودة عندنا .

سامي : وهل اخذوها ؟

المختار : طبعا ، ان احتمال الهجوم عليهم كبير جدا ، ولم نكـن نعلم ان الانكليز سوف يتركون مركزهم قبل الغروب ، لقد بقينا هكذا من دون اي سلاح يذكر ... ماذا نفعل ؟ لا شيء ... غير الانتظـار والصبر ... السلاح ، الخوف ، النار ، الموت ، الرحيل ... اشيـاء لم يعرفها الناس من قبل ... ماذا سنرى بعد ذلك ... سامـي ، اذهب واحضر لي فنجانا من القهوة ، انني في أشد الحاجة اليه ...

(يخرج سامي بينما ينجه ابوه الى النافذة المكشوفة ، ينظر الى بعيد ساهما ، انه يرى المركز كما يرى بعيدا جدا اطراف بازور وسلمة وتل ابيب ويافا ، كلها من تلك النافذة العالية ... يسود المسرح ضوء أحمر خافت يوحي بظلال حمراء لشمس تغيب وراء افق فيه بعض الغيوم ، وفجأة يسمع أزيز الرصاص المتواصل ، وتصيب احـدى الرصاصات المختار في رأسه فيسقط على الديوان ... بعد لحظـة ، يدخل سامي مسرعا وعندما يرى أباه مستلقيا يصرخ ..

سامي : بابا ... بابا ...

(يقفز الى جانب والده مشدوها لا يدري ماذا يفعل ، ويشتـد احمرار الضوء في المسرح ليسدل الستار)

الفصل الثاني

المنظر ، غرفة صغيرة في قبو متواضع ، لا يدخلها ضوء النهـار الا من نافذة ضيقة تمتد على طول الرصيف في الخارج ، في النافـذة الواح زجاجية سميكة تزيد من عتمة الغرفة ، باب الغرفة على يسار المسرح اقرب الى الجمهور ... هناك باب اخر يقابله على اليمين يقود الى المطبخ والاشياء الاخرى ... الاثاث بسيط جدا ، سرير مدرسـي مفروش ، يمتد تحت النافذة ورأسه يستند على الحائط الايسر ... بالقرب من راس السرير يوجد منضدة صغيرة وضع عليها جهاز راديـو صغير وبجانبه بعض الصحف المتنوعة ... هناك ديوان طويل يمتـد محاذيا الجدار الايمن بجانبه ومن بعيد رفوف من الكتب غير المرتبـة وامامه منضده متوسطة الحجم وانيقة ، على اليسار وبالقرب مـن جهاز الراديو يوجد كرسيان من القش الرخيص ..

نزيـه : (عندما يفتح الستار ، يبدو جالسا على احـد كراسـي القش ممن ينتظر الطبيب ، يسلط عليه ضوء خافت بينما يبقـى المسرح مظلما) ... سيداتي سادتي ، كنا في الطابق الثاني فأصبحنـا في القبو ، تحت الارض ... كنا نرى البرتقال والسماء والنجوم في ارضنا الحبيبة ، ففدونا بعد ايام لا نرى الا الجدران ، لقـد رفض صديقنا سامي ان يسكن غرفة صغيرة في أعلى البناء واختار هـذا القبو الرطب ، قال لي عندما زرته اول مرة ، هذا المكان يناسبني ، فهل هذا صحيح ؟ لا ، ابـدا ، انه مكان لا يناسب احدا . سيـداتي سادتي ... انني أنصحكم جميعا ان تحافظوا على بيوتكم العـالية ، احذروا الهبوط ، فعواقبه وخيمة ، وسنرى الان نموذجا من الهبوط ، الهبوط البائس (يظلم المسرح بكامله ليخرج نزيه ونبدأ المسرحية)

سامي : (يسمع طرقا على الباب فيقف ليفتحه بعد ان كان جالسا على الديوان) اهلا عادل ، تفضل ، أدخل ...

عادل : (شاب أميل الى القصر من اولئك العمليين الذين يثقون بأنفسهم وبالحياة ، يدخل مرحا) أين أنت يا عم سام ، لقد اختفيت عن الانظار منذ ان انتهى الامتحان ، شكرا للامتحانات والجامعة التـي تتيح لنا فرصة لرؤية طلعتك البهية ...

سامي : تفضل اجلس ولكن لا تناديني بالعم سام فانني اكـره هذا الاسم ...

عادل : (يجلس على كرسي القش ، بينما يعود سامي الىمكانه) سألت عنك في الشركة فقالوا انك مأذون حتى اخر الشهر ، فلمـاذا

صدر حديثا :

عن دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

غابـة الحجـارة

شعـر

رفيق خوري

لا نراك ، لا في المقهى ولا في الحزب ولا في الطريق ، اين تذهب ؟

سامي : انني ابقى هنا .

عادل : تبقى هنا في هذا القبو ، هل تريد ان تمرض ؟.. وماذا تفعل هنا ، تنظر الى الجدران العفنة ام تتمتع بوقع الخطى على الرصيف ؟

سامي : بل أستلقي على السرير ، انظر الى السقف واستمع الى الخطى تأتي وتذهب ، اما الجدران فانني اخاف ان انظر اليها انها تذكرني بأن حياتنا كلها جدران رطبة ...

عادل : ما شاء الله ، طبعا ، يجب ان تتفلسف لتصبح مناسبا لحبيبتك التي تدرس الفلسفة ، جدران رطبة ، انك تعلمها الفضيلة وهي تعلمك الفلسفة ، لقد رأيتها بالامس في النادي جالسة وحدها متجنبة الحديث حتى مع الجنس اللطيف ... وانت يا استاذ لماذا لا تأتي الى الحزب ، انك تدفع اشتراكا شهريا فلماذا لا تذهب ؟

سامي : لا اشعر بالرغبة في ذلك .

عادل : هذا السقف ووقع الخطى أفضل ... لقد تغيرت يا سامي ... كنت تضحك وتتكلم وتخطط ، اما الان فانك لا تطاق ، قل لي كيف ستحافظ على صديقتك ؟.. ألم تعمل من اجل ذلك عشر سنوات متواصلة ، تعمل وتدرس وتسهر الليل ... وذلك الحب الذي رفعك الى القمر ... هل انفقتما على الزواج بعد ان انتهيت من الجامعة وقرف الجامعة ، هل حددتم الموعد ؟

سامي : لن أتزوج .. (يسمع طرقا على الباب فيذهب ليفتح)

عادل : اضحك على غيري اما انا ... أظنه نزيه ، فقد رأيته في الطريق ووعدني بأن يتبعني اليك ...

نزيه : (بعد ان دخل) السلام عليكم ، (اصبح نزيه من انصار خلها على الله بعد هذه السنين الطويلة)

سامي : اهلا نزيه .

عادل : تعال يا شيخ نزيه ، تعال يا رجل ، يا صالح ... يا أبا الصغار ...

نزيه : ماذا ! الا يعجبك الصغار ؟ غدا تتزوج ونرى ذريتك ، يا ابا اللسان الطويل ، ماذا تكون قيمتك بدون هذا اللسان في حزبك التقدمي ؟

عادل : كفى .. كفى .. هل تغضب بسرعة يا بارد ، يا رجعي... هل قرأت الاخبار في مجلة الكواكب عن البطل الكبير سامي ؟ انه قرر الاعتكاف والتفرغ لتأملاته ... ليس تحت شجرة ، بل هنا تحت وقع الاقدام ... لقد قرر ايضا عدم الزواج ، تماما مثل فريد الاطرش ، هل سيتعارض الزواج مع مهنتك يا حضرة الاستاذ الكبير ؟

نزيه : لم افهم حتى الان بداية القصة فأنا لا اقرأ الصحف كثيرا ، لماذا لم نعد نراك يا سيد سامي ؟ هل اخذت فدوى كل اوقاتك ، أم انك مخلص لحزبك ؟

سامي : لم يعد لي حزب لاخلص له ...

عادل : شيء جميل ، لم أكن اتصور انك ستصبح انهزاميا الى هذا الحد ... تترك الحزب والمقهى ... تترك العمل والجميلة الناعمة ... لنستلقي هنا على السرير تنظر الى السقف وتسمع موسيقى وقع الاقدام يا فيلسوف ، يا عميق ..

نزيه : لعله يريد ان يبرهن على وعيه وانسانيته كما كان يقول لنا ...

عادل : وعي أحمق وانسانية سوداء ، المجنون ... يترك الحزب والعروس الجميلة ، قم يا اخي ، قم ، الانسان يتمتع بالشمس والفتيات الجميلات وليس بالسقف وخيوط العنكبوت (ويشير للاعلى) ...

سامي : (بهدوء كبير) انكما احمقان ...

عادل : لماذا لا تكون انت الاحمق ؟

سامي : انا او انتم لا يهم ، المهم انني غير متفق معكم .

نزيه : طاوعني يا سامي وتابع طريقك ، تزوج ولا تفكر في شيء والان اخرج معنا لنرى فيلما ... او نذهب معك الى الجامعة فقد اخبرني يوسف ان نتائجكم ربما ظهرت اليوم مساء ...

سامي : اعذروني ، فانني لا ارغب في الخروج .

عادل : اتركه يا نزيه ، انه حر ، أم انك ايضا ستطلق الحرية ؟

سامي : هل تظنون انفسكم احرارا ؟ انكم عبيد ، وقد أبقى مثلكم، لكن لا ... لن افضي حياتي عبدا لاحساسات كثيفة : تزوج ، كل .. العب الورق .. اسمع الخطابات .. صفق .. اقرأ الصحف ومزقها وتمزق ... ماذا تتصورون ؟ بعد سنين سيبيض شعرنا ويشيب ونقف كالاصنام عاجزين ، نلتفت الى هذه الايام ، فماذا نرى ، لا شيء، كل هذا الهراء ... الزواج والحياة الزوجية .. القمر والدجاج والخطابات والمذاهب المتنوعة تنهشنا كالدود يلتهم الجيفة السمينة .. كل هذا هراء ... كل هذا باطل ... يجب ان تعود ارضنا ونعود ، يجب ان نتطهر من العار ... يجب ان نعود .

نزيه : ان نعود ؟

سامي : اجل ان نعود .

عادل : واذا عدنا ، هل ستحب القمر والزواج عندئذ ؟

سامي : عندئذ فقط سأشعر بأنني انسان ... سأتخلص من هذا الشيء الكريه الذي يمزقني ويشد عيني الى التراب .

نزيه : حسنا ، قل ماذا تريدنا ان نفعل ؟

عادل : اجل ، ماذا نفعل ؟

سامي : علينا ان نتحرك .

عادل : نتحرك ، الى اليمين ام الى اليسار ؟

سامي : بل الى الامام .

عادل : امامنا جدار كبير بنته السنوات والليالي يا أستاذ .

سامي : يجب ان نهدمه والا اصبح سدا كبيرا .

نزيه : انه اكبر مما نتصور .

سامي : لنبدأ بحجر صغير فيه ، لنبدأ بأظافرنا نحك ذلك الجدار.

عادل : سأرى الى اين ستصل بمناقشتك ، أخبرني من اي جزء نبدأ وتأكد بأنني سأبدأ قبلك .

سامي : هذا ما يجنني .

عادل : وهل تجلس هنا تبحث عن الجواب في سقفك المتعفن ؟

سامي : علينا ان نبدأ بأساس الجدار ، من أسفله ، سنحفر التراب بأصابعنا لنهدم الاساس .

عادل : وهل يرحب بك الحراس على الجانبين ؟

سامي : علينا ان نتفق مع ذلك الذي يعمل على الطرف المناسب، فاذا رفض قتلناه ...

نزيه : أتريد ان تبدأ بالقتل ؟

سامي : وداوها بالتي كانت هي الداء .

عادل : وهل نسيت المال والعالم ... وهل تبدأ الا مع الاخرين، الذين انتهوا معنا قبل عشر سنين ؟

سامي : سيأتي كل شيء عندما نبدأ .

عادل : بل يجب ان نبدأ مع اشياء كثيرة ، يجب ان يبدأ معنا الاخرين ، وهذا ما يقودنا للحزب .

سامي : كنت اظن ذلك ... لكن الايام والمستوى الذي يتحرك عليه الاخرون يصيبني بالغثيان ... انهم لن يتحركوا الا اذا تحركنا .

نزيه : لماذا لا يتحركون هم ويحركونا معهم ، بل لماذا لا نتحرك معا؟

سامي : في كل يوم تتحرك فيه الروائح الطيبة التي تبعث الامل يتحرك القذرون بروائحهم العفنة ليسجنونا في قبور اليأس ...

عادل : هيا بنا يا سيد نزيه ... يبدو ان الاستاذ سيفلسف كل شيء (يسمع طرق على الباب فيذهب نزيه ويفتح لمروان الذي يدخل في اناة زائدة كمن يستعد لحفلة كبيرة ، انه وسيم لحد الجمال في كل شيء)

مروان : هل انتم وحدكم هنا ؟ (ثم يلتفت الى سامي) كيف حالك يا سيد سامي وكيف حال جولييتك ؟ هل تعطف عليك هذه الايام أم انها بخيلة كغيرها من بنات هذه المدينة ؟

نزيـه : هذه شؤون شخصية لا تهم سواه ...

سامي : دعه يتكلم .

عـادل : وهل يطيب له الا مثل هذا الحديث .

نزيـه : كم برميلا من «البريلكريم» تستهلك في الشهر يا مروان ؟

مروان : تريد ان ترشدني سواء السبيل لتربح على حسابي هكتارا اخر في الجنة ... لا تحلم في ذلك ، فسأبقى أحب كل البنـات الجميلات .. ان الله يحب الجمال .. ألا تعلم ذلك ؟

عـادل : ولكنك اخيرا يا مراهق ستحب واحدة فقط وستركب على عنقك وسوفك الى عش الزوجية السعيد (ويضحك ساخرا)

مروان : بل سأبقى احب كل البنات الجميلات ، حتى بعد زواجي بواحدة ... ان قلبي واسع جدا فماذا أفعل ، ليس الذنب ذنبي .

نزيـه : انك فاسد ، لكن الايام ستصلحك .

مروان : أبدا ، انني فقط صادق مع نفسي وعواطفي ... فانـا لا أحب الكذب ، وهذا حقي ... بل واجبي ايضا ، لا تنس ايضـا ان علينا نحن الشباب واجب كبير نحو كل الفتيات الجميلات .

سامي : (بسخرية ومرارة) ألا تشعر بواجبات اخرى عليك ؟.. عندما تجلس لتفكر في نفسك وفي الاخرين .

مروان : انني افكر في نفسي وفي الاخريات ... سامي ، ألا يوجد عندك زجاجة من البيرة ؟ يجب عليك ان تقدم شيئا لضيوفك ، ليس لي ، بل لهم ، اظن انهم عطشى ...

نزيـه : لا نريد شيئا ، نريد ان نذهب ... سنشرب القهـوة في النادي .

مروان : اجلس يا شيخ ، البيرة صحية اكثر ... وفوق ذلك ، اريد ان نكمل الحديث عن الحقوق والواجبات ، انني احب ان اتمتع بكل الحقوق ... اما الواجبات فمنظرها على الرف يعجبني كثيرا ، انني احفظها هناك ولا استهلك منها الا القليل عند الضرورة القصوى... وفي ذلك تكمن سعادتي ...

عـادل : سعادتك من النوع القذر .

مروان : وما هو نوع سعادتك يا صاحب السعادة ، يا صديـق الشخصيات الكبيرة ؟

نزيـه : انني ذاهب (ويتجه الى الباب) ... هل تذهب معـي يا عادل ؟..

عـادل : طبعا . (ويتبعه) .

مروان : وانا ثالثكم ... هل أبقى هنا بعيدا عن الجنس اللطيف.. مع ان هذا المكان ثمين جدا لامثالنا ، انه يناسب انواعا خاصـة مـن المواعيد السعيدة .

عـادل : اخرج يا قذر (ويدفعه مازحا الى الخارج ويخرج الجميع)

سامي : (يشعل سيكارة وينظر الى النافذة ويدخن بعمق ، ثـم يسير ببطء الى باب المطبخ ثم يعود الى الباب الخارجي كأنه يهـم بالخروج ، لكنه لا يلبث ان يذهب الى الديوان ويتساقط عليه كمـن هده التعب ، يرسل الدخان في عصبية ، يحملق في سقف الغرفـة تارة وفي ارضها تارة اخرى . يسمع طرقا على الباب ويتردد قليـلا قبل ان يذهب ليفتح الباب ، فتدخل فدوى التي تبدو انيقة وجميلة ، اما وجهها الوسيم فيبدو قاسي الملامح يناسب فتاة مثلها تذهب لغرفة شاب لم يطلب منها ذلك) أهلا فدوى ، تفضلي ...

فدوى : (تقترب منه كأنها تعرض شفتيها لقبلة طويلة وتمـد ذراعيها قليلا غير انها تفاجأ به يتركها ليعود الى الديوان حيث كـان يجلس) سامي ، ماذا حدث ؟ أتغيرت الى هذا الحد يا عزيزي ؟ ألأنني آتي اليك لأنني احبك كثيرا ؟.. هذه هي النهاية !

سامي : (يشير لها ان تجلس بجانبه) اجلسي يا فدوى ، هـل تريدين كأسا من الشاي او القهوة ؟

فدوى : لا اريد ان اجلس ولا اريد شايك البارد ، قل يا سامي : أفهمني ماذا تقصد ... أين ذهب الحنين ؟ اين سامي الودود الآنس ؟ أين ذهبت احلامك في البيت البعيد بين اشجار الوادي .. وصـورة الموقد في غرفة سماوية تجمعنا حتى الموت ... نلهو ونتحدث ، نتمتع بغناء المطر قرب النار ... ونجلس بهدوء في ليالي الصيف المقمرة ... صور جميلة رائعة تأتي اليوم لتهدمها بصمتك المميت ... وتريدنـي بعد ذلك ان اجلس وأشرب الشاي ... هل كنت تعبث ؟

سامي : (ينظر الى النافذة) أبدا ... لقد أحببتك وما زلت ، لكـن ....

فدوى : لكن ماذا ؟.. منذ ان انتهت الامتحانات وانت متجهـم لا تبتسم الا ابتسامة تجارية (تحـاول ان تعبر عنها للجمهور) ... ولا تكلمني الا لتجيب على سؤال ... كم كنت رائعا ، أربع سنيـن متعتني فيها بكل شيء ... جعلتني أعشق الحياة ... كنت رجـلا يعجب كل امرأة ... مع انك تميل الى النقاش والجدال ... بيـن لحظة واخرى تظهر النتائج وتنتهي من الدراسة وتبدأ حياتك بل تبدأ حياتنا من جديد ... ماذا تريد اكثر من ذلك ؟.. هـل تريدني ان اقطف النجوم لتبقى سعيـدا ... هل أذيب نفسي كأسا تشربـه فتنتشي ... (وتقترب منه متـوسلة مستغلة انوثتها الناضجة) ابتسم يا سامي لا تتركني شقية .. سامي .. هيا بنا نخرج ... هل تريد ان نزور اخي ام نذهب الى النادي ؟

سامي : لا اريد ان اخرج ، لا أريد ان أرى احدا ، انني اريـد... اريد ان أموت (ويقف متجها نحو الباب) لقد توهمت انني استطيـع ان استمر ... لقد نجحت ان انسى كل هذه السنين ، لكنني لـم أعد استطيع ... اريد ان اعود هناك ... اريد ان اعيش حيث ولدت، حيث ولد ابي وأجدادي ... بعيدا عن تلك الارض اشعر انني تحـت حذاء الزمن ذليل كسير الجناح ... هناك سأغزل لك طوقا من زهور

مجموعـة « شعراؤنا »

نقد ـ دراسة ـ تحليل ـ مختارات

صدر منها					ق. ل
١ ـ الشاعر القروي بقلم : عبد اللطيف شرارة					٣٠٠
٢ ـ الرصافي	«	«	«	«	٣٠٠
٣ ـ الشابي	«	«	«	«	٣٠٠
٤ ـ شوقي	«	«	«	«	٣٠٠
٥ ـ حافظ ابراهيم	«	«	«	«	٣٠٠
٦ ـ ايليا أبو ماضي	«	«	«	«	٣٠٠
٧ ـ الاخطل الصغير	«	«	«	«	٣٠٠
٨ ـ خليل مطران	«	«	«	«	٣٠٠
٩ ـ ابراهيم طوقان	«	«	«	«	٣٠٠
١٠ ـ الياس ابو شبكة	«	«	«	«	٣٠٠

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر

البرتقال ، وسأجعل من عبيره عطرا لشعرك ... وسترقص القريـــة على البيادر ...

فدوى : كم انت رائع يا سامي وكم أحبك ، لكن انظر اين نحـن الان ... هل تنتظر معجزة ؟..

سامي : انها ليست معجزة .. لا .. لن تكون ابدا معجزة الا اذا عشنا عبيد انفسنا ... يجب ان نتحرر ... لقد رسموا لهزيمتنـــا منذ عشرات السنين ... وعلينا ان نسير نحو الثار حتى لو طـــال الطريـــق ..

فدوى : سامي : كن واقعيا ولا تفكر في مشاكل صعبة ... انظر الى الاخرين ... هل تريد ان تسير وحدك ؟ هل هي بلدك انتفقط ؟ دع الزمن يجد الحل ...

سامي : الزمن . لقد كان الزمن جزءا من مأساتنا ... وجبنـــاء نحن ان جلسنا نترقب السماء ...

فدوى : سامي .. حبيبي .. (تقترب منه محاولة تقبيـــله او استعمال العاطفة)

سامي : فدوى ، (يتراجع مبتعدا عنها) ابتعدي عني ، انـــك كالاخرين أصابكم الخبل ، تنتظرون المطر حتى يسقي ارضكم التي تعبث فيها المياه ... ثلاث سنين قضيتها معك ، حسبت نفسي فيها وصلت السماء ، لكنني الان ارتجف للذكرى ... ايام عبث ... انني لم اخلق لأتزوج وأنجب الاطفال ... لا اريد ابني ان يستيقظ الا تحت اشجار البرتقال ...

فدوى : ولكنك هنا يا عزيزي في قبو رطب !

سامي : بل انه قبر ... كلما جاء الليل ، وعندما تبتعدين عـــن رأسي كثيراً ... أرغب النوم ولكنني أخشاه ، ارغبه لاستريح واخشاه لانني اشعر بانني اموت ... انني أرى احلاما مزعجة ... أحلم دائما بالحرب .. القتلى والنار .. الجرحى والصراخ ..

فدوى : لماذا تبقى هنا ؟ لماذا اخترت هذا المكان ؟

لانه يناسبني ، لانني أحب ان ابقى مع حقيقتي ...

فدوى : وهل أنت وحدك تملك الحقيقة ؟

سامي : كل له حقيقته ولكنني هنا اعيشها .

فدوى : تعيشها هنا في هذا المكان المظلم ... انك لا تكاد تراها .

سامي : لقد اصبحت كالخفافيش أرى في الظلام اكثر مما أرى في نور الشمس ... وعندما أغمض عيني أحس بالحقيقة وأراها .

فدوى : وهل تمنحك هذه الرؤيا السعادة والامل ؟

سامي : ربما .. انها تدفعني لعمل شيء ما ... وعندما أمضـي اليه سأعرف السعادة الحقيقية .

فدوى : اذن ، كنت تكذب علي عندما قلت لي : لقاؤنا يا فدوى يمنحني ذروة السعادة ... اريد ان أراك كل يوم ... هل كنت تكذب؟

سامي : لا ، لم اكذب ... كنت صادقا معك كما كنت مـــع نفسي ...

فدوى : وقد تغيرت الان فتغيرت سعادتك (تتهاوى على الديوان من شدة الاضطراب الذي دفعها اليه) ... لماذا تعذبني ؟.. انك تحطم حياتي ... لقد أصبحت أنانيا .. أصبحت عبدا لافكارك الخيالية ..

سامي : فدوى ... انك لا تفهمينني ...

فدوى : لا اريد ان افهمك ... انك تتركني وحدي وتذهب فـي دربك المظلمة ... استيقظ يا عزيزي انك تعيش في حلم ... فـــي حلم مرعب ...

سامي : كنت اعيش في حلم ، وقد استيقظت ...

فدوى : انك تستيقظ في الظلام ...

سامي : لا بد ان يأتي الصباح ... وتشرق الشمس ونعود .

فدوى : عدت للحن مرة ثانية ... أجل سنعود أما الان فسأعود انا الى البيت فقد تأخرت (وتنهض متراخية وتتجه الى البـاب) وعندما تغير لحنك أخبرني ... وطابت ليلتك (لكن سامي لم يتحرك ولم يهتم بمغادرتها الغرفة وتركها اياه) ... أتبقى صامتا لا تتحرك ؟ أيسرك ان اذهب ؟ فلتعلم اذن انني لا اريد ان اراك بعد اليـــوم ... لا احب ان اراك ... لقد أصبحت اكرهك ، هل سمعت ؟

(وتفتح الباب في غضب لتنهض وتغلقه بقوة ... ويخفت الضوء في المسرح ليتحول الى أحمر باهت ... ينهض سامي بهدوء رجـــل في الستين من عمره ويتجه الى المنضدة الموجودة قرب السرير ويبدين مرتعشتين يخرج من جادورها مسدسا صغيراً ... يرفعه ببطء كبيـر نحو رأسه ... لم يجد الشجاعه الكافية فيرخي يده الى اسفـل ، ويقف كالصنم او كالراهب في خشوعه ... وبعد ثوان ، يرفع يـده بسرعة ليطلق رصاصتين تستقران في رأسه ، يطلق آهة محزونـــة ويهوي مستنداً على السرير ثم الى الارض ... بعد لحظات ، يطرق الباب ويطرق ، ونسمع فدوى من الخارج تنادي بصوت المستغيـث) افتح يا سامي ، افتح ... لقد نجحت الاول ...

(ويستمر الطرق ويستمر النداء ... ثم يخرج نزيه من بـــاب المطبخ ليخاطب الجمهور)

نزيه : سيداتي ، سادتي ... لقد رأيتم قصة الاب والابن ، الفصل الاول والفصل الثاني ... اما الفصل الثالث فسيكتبه آباء اخرون وابناء اخرون فالى اللقاء مع الفصل الثالث ..

(ويسدل الستار)

صفاقس (تونس) **سميح يانس**

صدر حديثا :

الظمأ واليَنبوع

رواية من تأليف

فاضل السباعي

٢٥٠ ق. ل

دار الاداب